تمهيـــد

يسرّ « مكتبة المعارف في بيروت » أن تقدّم إلى القراء هذا الكتاب القيّم عن « تاريخ الفن السينمائي » تأليف الناقـــد السينمائي العالمي جورج سادول .

ولقد رأت الدار ، تمشياً مع خطتها في الاسهام بخدمة الثقافة العربية المجيدة، أن تختار هذا الكتاب وتقدمه إلى القراء العرب، في ترجمة أنيقة واضحة ، وفي حلّة جميلة مصورة ، مشاركة منهـا في تنوير القراء العرب الطامحين دائماً إلى الأعمق والأفضـــل والأجمل ، فمكتبة المعارف تعلم حق العلم بأن القراء العرب اليوم يندفعون ، عن وعي عميق حي ، نحو ثقافة عامة شاملة ، في جميع الميادين ، تكون في خدمة حضارتهم وقضاياهم الانسانية الخيرة . والسينما فن جماهيري شعبي قويّ ، بل لعلّه أقوى الفنون الحديثة وأعظمها استئثاراً باهتمام الناس ، كما أنّ الأمّة العربية ساهمت في تجارب السينما والفيلم (وبخاصة في مصر) وطمحت وما تزال إلى إقامة صناعة سينمائية تعبر عن حياتها وآمالها ومشاكلها ومكاسبهـا الفنية ، وهذا الكتاب من أهمّ الدراسات العالمية في هذا المجال ، فهو يلقي أضواء فنية وتاريخية وانتقادية على نشأة هذا الفن وتجاربه.

فهذا الكتاب الذي نقدمه إلى القراء العرب الكرام يلخّص

تجـــارب عالم عظيم ، هو جورج سادول الذي يرافق فيه السينما العالمية منذ نشأتها في أواخر القرن الماضي حتى اليوم ، ويصور جميـع المراحل التي مرّت فيها السينما ، بجميع تفاصيلها الفنيـــة والتكنيكية والاقتصادية ، من حيث تطور الموضوعـــات والاخراج والأساليب الفنية واختراع الآلات وتطوّرها ، كما يؤرّخ هذا الكتاب ، بصورة مفصلة ، جذابة ، مشوقة ، جميع التيارات التي دفعت هذا الفن الجماهيري العظيم ، وجميع الاتجاهات التي عاشت فيه ، وتفاعلت ، متحدثاً عن تجارب جميـع الأمم في هذا المضمار ، والمدى الذي أسهمت فيه كل أمة وشاركت – بما فيها تجارب الأمة العربية – .

ولذلك ، فقـــد كان لا بد من أن يجيء القسم الأول الذي نقدمه اليوم إلى القراء على شيء من الدقة والصعوبة الناشئتين من كثرة التفاصيل الفنية والتوضيحات العلمية الضرورية لكل من يريد أن يتعرف إلى نشأة هذا الفن العظيم – فن السينما – الذي هو أيضاً صناعة ، وصناعة كبرى .

غير أنّ المؤلف جورج سادول يعوّض قراءه عن الجهـــد الضروري الذي لا بد لهم من بذله عند قراءة هذا القسم الأول ، وذلك بالطرافة المحببة في الأقسام التالية والتشويق المشبع بالقصص القيمة والتوضيحات المدهشة ، والمعلومات الجذابة الرائعة .

والله نسأل أن يوفقنا الى خدمة الثقافـة العربية ، إنّـه أعظم مسؤول .

« مكتبة المعارف في بيروت »

جورج سادول

ولد جورج سادول في نانسي بفرنسة عام ١٩٠٤ . ومنذ صباه الأوّل بدأ يهتم بالسينما ، وكان منضماً إلى الحركة السوريالية بين عامي ١٩٢٥ و١٩٣٢ ، مع صديقيه أراجون وإليوار . وفي عام ١٩٣٥ ، عهد إليه لويس موسيناك بالنقد السينمائي في مجلة Regards ، وظلّ يمارس هذا العمل حتّى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وهو اليوم الناقد السينمائي لصحيفة « الآداب الفرنسية Lettres françaises » وقد قدّم خلال عدة سنوات برامج نقد الأفلام من الاذاعة الفرنسية .

يواصل جورج سادول منذ عام ١٩٣٨ أعمالاً عن تاريخ السينما منذ نشأتها ، وفي جميع البلدان. ولقد نشرت كتبه وأبحاثه التاريخية في دور النشر المختلفة في هوليود ونيويورك ولندن وروما وبودابست وبراغ وفرسوفيا وميلانو وجنيف الخ . وهو استاذ تاريخ السينما في معهد « الدراسات السينمائية العليا » ، وكذلك فهو يقوم بالقاء محاضرات عن تاريخ الأساليب السينمائية في معهد « علوم الفيلم » في « جامعة السوربون ». وهو السكرتير العام للاتحاد العالمي لنوادي السينما . ولقد نشرت مؤلفاته وأعماله في ثماني عشرة لغة .

•

مُقدّمة

هذا فن يولد تحت أعيننا . إنه فن السينما . أمّا الفنون الأخرى ، كالتصوير والموسيقى مثلاً ، فهي موجودة منذ ملايين السنين .

إن فن السينما وُلد تحت اعيننا . وكثير من الذين مهّدوا له الطريق ، أو ساعدوا في ابتكاره ، لا يزالون احياء، يعيشون حتّى أيامنا هذه ؛ ورغم ذلك ، فإنّ دراسة منشأ هذا الفن هي دراسة صعبة . ففي زماننا هذا ، الذي يحتفظ فيه الناس بجميع الوثائق عن أضأل أعمالهم ، وأقلّها شأناً ، نجد على العكس ، أن « أرشيفات » هذا الفن الذي وُلِد حديثاً ، ونعني به فن السينما، ونجد أن خزائن محفوظاته قد تلاشت كلّها تقريباً ؛ وقد حدث هذا قبل أن يشعر الناس بأنّ السينما قد دشّنت في الفن أسلوباً جديداً . وعلى الباحث فيه – إذن – ، أن يتصرف كعالم من علماء مطمورات الارض ، الذي يعيد تركيب حيوان معيّن ، مبتدئاً ببعض العظام ، ومتمنياً ألاّ تأتي الاكتشافات القادمة فتهدم افتراضاته .

ويبقى على المؤرخ ولا شك ، أن يكتب تاريخ الأسلوب

الذي تستعمله الظلال الصينية أو الفانوس السحري ، وهي تُعتَبر حكايات بدائية ، ساذجة ،أولى ، لعرض القصص بواسطة الصور. ولكننا بعد تقليب الأمر على جميع وجوهه ، نجد أنّ هذين المشهدين البصريين لم يؤثرا مطلقاً في نشوء الفيلم السينمائي ، أكثر من تأثير الأدب ، والمسرح ، والتصوير ، وكل فنّ رصين آخر، ولا أكثر مما أثرت فيه صور إبينال ، والروزنامات ، والدمى المتحركة ، والرسم الهزلي (الكاريكاتور) ، أو تأثير كل فن آخر سواء أكان فناً شعبياً جماهيرياً، أو كان من الفنون الخاصة ، المنعزلة ، التي لا يهتم بها الناس .

(استطاع فن السينما أن يولد تحت أعيننا بهذه السرعة العجيبة ، لأنه لم ينشأ على أرض عذراء خالية من الثقافة : فقد استوعب هذا الفن وهضم ، بصورة سريعة ، العناصر المختلفة المأخوذة من كل فروع المعرفة الانسانية وتجاربها . والامر الذي صنع عظمة السينما هو أنها مجموع - وتركيب أيضاً - للكثير من الفنون الأخرى .)

(والسينما هي أيضاً صناعة من الصناعات فقد مات «فان غوخ» دون أن يبيع لوحة واحدة من لوحاته ، وغادر « رامبو» هذه الحياة تاركاً مخطوطة أشعاره الوحيدة ، ولم تستطع آثارهما ان تشقّ طريقها إلا بعد وفاتهما ؛ لقد جرى تحضير هذه الروائع الخالدة بثمن مشترى الورق والحبر ، والقماش والألوان، الضئيل النفقة . على حين انه يجب أولاً إنفاق عدة ملايين قبل إظهار بكرة فيلم كبير حديث) ولا نستطيع ان نتخيّل رجلاً من

رجال السينما يخرج أفلاما كبيرة تظل مجهولة من جميع الناس . فضرورة استخدام رؤوس أموال كبيرة في صناعة السينما تضع أمام المنتجين شروطاً واضحة لإتقان عملهم .

فمن المستحيل إذن ان ندرس تاريخ السينما من حيث هي فن من الفنون ، . وهذا موضوع كتابنا – دون التحدث عن المظاهر الصناعية لذلك الفن. والصناعة لا تنفصل عن المجتمع وعن اقتصاده وعن فنونه الآلية (التكنيك)

فغايتنا – إذن . هي أن ندرس السينما كفن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصناعة والاقتصاد ، والمجتمع ، والفنون الآلية (وتاريخ السينما يشتمل على ستة أدوار .

الدور الأوّل هو دور الاختراع : وقد بدأ سنة ١٨٣٢ وانتهى سنة ١٨٩٦ ؛ وهو دور فني ، على وجه الخصوص ، وسندرسه باختصار .

والدور الثاني (١٨٩٥ – ١٩٠٨) . دور الممهدين حيث تأسست الصناعة ووُضِعَتْ أسس الفن دون دراية .

والدور الثالث (الذي انتهى بانتهاء الحرب العالمية الأولى) هو الدور الذي أصبحت فيه السينما فناً ، وتوطدت وضعيتها بواسطة الصناعة الكبيرة .

والدور الرابع هو دور الفن الصامت .

والدور الخامس يبدأ بسيطرة الفيلم الناطق ، وينتهي مع بداية الحرب العالمية الثانية .

والدور السادس يشمل الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلتها .

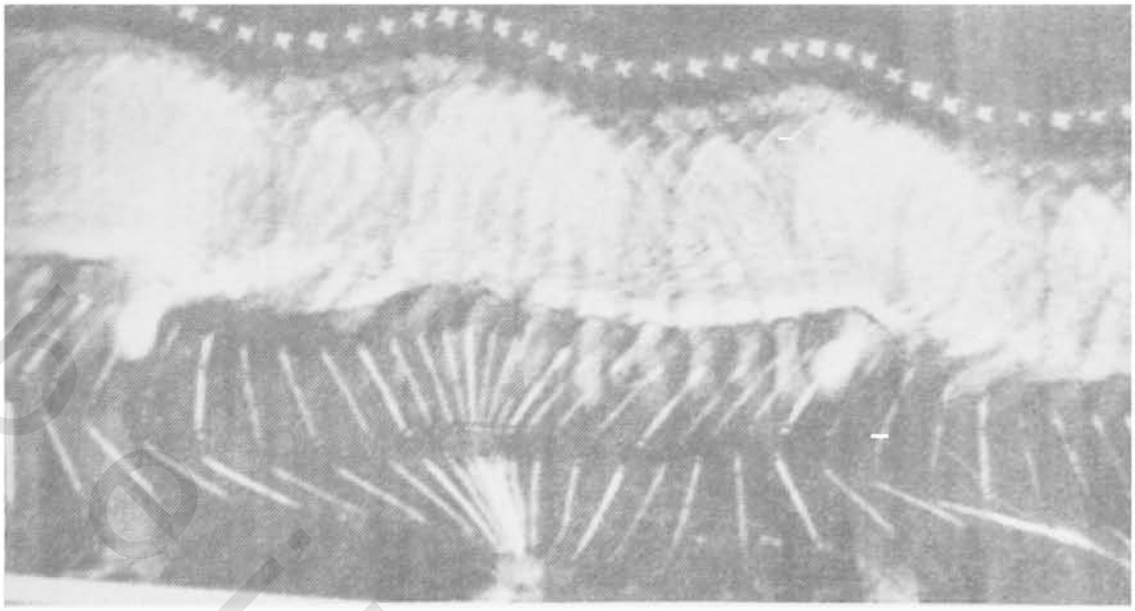

سيرالانسان : (العالم الفرنسي ماراي ، نحو سنة ١٨٨٧) مئة صورة فوتوغرافية لرجل يرتدي السواد ، منضدة على صفيحة واحدة تحلل الحركة بتخطيط غريب .

وصول القطار الى المحطة : (لويس لوميير ١٨٠٥) . عمق الحقل تظهره هذه الصور الاربع .

obeikandl.com